دعوى الإبراهيمية

التي يقرر بها مدعو وحدة الأديان باطله

عرض ونقد

مصطفى بن محمد خليفة الغردقي



دعوى الإبراهيمية

التي يقرر بها مُدَّعُو وحدة الأديان باطلهم

(عرض ونقد)

تأليف

أبي عبد الأعلى

مصطفى محمد خليفة الغردقي

باحث أكاديمي -قسم العقيدة-الجامعة الإسلامية-المدينة المنورة

mokh٤٤٨٩@gmail.com

٠٠٩٦٦٥٣٥٨٤٣٧٤٧

أولًا: صورة دعوى الإبراهيمية التي يقرر بها مدعو وحدة الأديان باطلهم:

الدعوة إلى وحدة الأديان دعوة لها جذورها ومناهجها ودعاتها، وانتشرت في القرون المتأخرة وأُبْرِمَت بقوة، فهي دعوة من دروب القضاء أو السيطرة على الإسلام وأهله، فهي في حقيقتها من الهجمات الفكرية لمحاربة الدِّين الإسلامي.

أصحاب هذا النوع من الدعوات تقوم دعوتهم على شقين يخدم أحدهما الآخر للوصول لأهدافهم الباطنية: "**تقارب الأديان**" و"**وحدة الأديان**"(١).

فالتقارب ذريعة للوحدة وممهد لها وأهدافهما غالبًا واحدة، إلا أن الوحدة أشد طغيانًا وكفرًا، وصورتها القائمة عليها هي اللجوء إلى أصل الأديان السماوية الثلاثة وإرجاع الأديان إلى بوتقة الميراث الإبراهيمي؛ للالتفاف حول المصدر، ولصلاحية الدعوة لوحدة دين ملائم للعصر الحديث.

فعمدوا إلى جَمْع أهل الأديان الثلاثة على الخليل إبراهيم عليه السلام؛ فهو النواة المشتركة التي ترجع إليها الديانات السماوية، فَرَامُوا بها إلى أبعد مما جاؤوا به من شناعة التقريب -الذي فيه محافظة كل ذي دِين على دِينه واحترام الأديان الأخرى بعقائدها وعبادتها وشعارها ورجالها وترك الإنكار والتشنيع على الآخرين- بل وصلوا بالإبراهيمية إلى مزج الأديان الثلاثة للوصول إلى الدين الإلهي الموحد الذي جاء به إبراهيم عليه السلام، ففيها تخلِّي كل ذي دِين عن دينه، فإن كانت دعوى التقارب كفرية فدعوة الإبراهيمية تلك أشد كفرًا وطغيانًا.

---

(١) تقارب الأديان: هو مجمل المحاولات الفكرية والعلمية الساعية لإيجاد لون من ألوان التلاقي والاتصال بين دين الإسلام وغيره من الأديان المحرفة والملل الوثنية، ووحدة الأديان هي: الاعتقاد بصحة جميع المعتقدات الدينية وصواب جميع العبادات، وأنهما طرق إلى غاية واحدة. انظر: دعوة التقريب بين الأديان، للقاضي (ص: ٣٣٣، ٣٣٩).

فالإبراهيمية التي يدعو إليها القوم: هي مزج الأديان الثلاثة وخلطها للوصول إلى دين موحد جديد يتماشى مع العصر الحديث بالرجوع إلى نواة هذه الأديان وهو إبراهيم عليه السلام.

فالمراد بالإبراهيمية الوحدة والمزج لا التقريب بين الديانات الثلاثة فحسب، فهي دعوة لتحقيق وحدة الديانة السماوية في دين تلفيقي انتقائي.

وعلى الرغم من أن هذا هو المعلن من أهداف هذه الدعوة، فإن لها أهدافًا باطنية، وإن لم تكن معلنة، ولكن حالهم وتقريراتهم ترمي إلى ظهورها ومعرفتها(١).

ومن الصور البراقة التي استعانوا بها في تزيين دعوتهم استخدام كثير من الألقاب المعبرة في فحواها على مضمون دعوتهم، وغلفوها بأطباق من الشعارات اللامعة، منها:

- "الحوار الإبراهيمي".
- "الإيمان الإبراهيمي".
- "الإبراهيمية".
- "الملة الإبراهيمية".
- "الوحدة الإبراهيمية".
- "الدعوة الإبراهيمية".
- "الميراث الإبراهيمي".
- "وحدة الدين الإلهي".

(١) ستأتي الإشارة إلى شيء من هذه الأهداف الباطنية في نهاية المبحث.

فهذه الدعوة منشؤها مبني على أصلين:

١) الأديان الثلاثة تدعو إلى أسس مشتركة (الإيمان بالله والعمل الصالح).

٢) الوسيلة بينهم وبين الأسس المشركة هي نبي واحد يجتمع عليه أهل الأديان الثلاثة، وهو (إبراهيم عليه السلام).

فإله واحد ورسول واحد يصلون بذلك إلى دين واحد، وهو" الدين الإبراهيمي"، ويهدفون من وراء ذلك إلى جعل أصحاب الأديان الثلاثة يتفقون على الإقرار بأن الإله الذي يتوجهون إليه واحد، وهذه الوحدة هي عنصر الجمع والوفاق بين أهل الديانات الثلاث وطريقها هو خليل الله عليه السلام.

فزعموا أن «الديانات السماوية خرجت من مشكاة واحدة، ثم اتفقت في الأصول والجوهر، وإن تباينت في التفصيلات والجزئيات؛ فهي كلها تقوم على التوحيد وتحض على الأخلاق الفاضلة، وتنهى عن ارتكاب الكبائر»[١]، «وما دام الدين واحدًا، والمصدر واحدًا فمن المستحيل ألَّا تتفق الأديان وتتداعى حول أصول عامة وقواعد مشتركة تكون بمثابة الشعلة التي يحملها الأنبياء، ويتداولونها واحدًا وراء الآخر»[٢].

(١) مؤتمر الدوحة الخامس لحوار الأديان: قطر: بين ٧ و٩ مايو ٢٠٠٧، مجلة الكلمة – منتدى الكلمة للدراسات والأبحاث – لبنان العدد ٥٧ صفحة (ص:١٧٧).

(٢) المصدر السابق (ص:١٧٦).

والدعوة الإبراهيمية التي يدعو إليها أصحاب وحدة الأديان قائمة على عدة أسس[١]:

- إقامة تجربة مشتركة من الإيمان الإبراهيمي.
- الوصول إلى الحرية الدينية الرفيعة.
- بناء مجتمع عالمي إنساني بطابع ديني واحد.
- احتواء مزيج من عقائد الشعوب "الإبراهيمية" وثقافاتها.
- تجاوز مواطن الاختلاف بين الديانات الثلاث من عقائد وتشريعات بذوبانها وامتزاج بعضها ببعض، وإبراز مواطن الاتفاق.

«أما غير هذه الأسس من قضايا التوحيد والعقيدة والتشريع والعبادة فهي أمور ثانوية لا تسهم في بناء المجتمع الإنساني العالمي القائم على ديانة واحدة»[٢].

فأرادوا من الإبراهيمية إقامة مجتمع واحد ذي طابع إيماني واحد؛ تلاشيًا للاختلافات بشتى أنواعها العقدية والفكرية والثقافية، وهذا ما يسمى بـ"بوتقة الإيمان الإبراهيمي لتوحيد الشعوب"، والخلوص بدين جديد يشمل الجميع بدعوة التجدد الديني لأتباع الملة الإبراهيمية، وهذا تحت مظلة المساواة ونبذ الخلاف وطرح ما يشوش على المجتمع العيش السلمي[٣].

---

(١) جاء ذلك ضمن ندوة "إبراهيم عليه السلام رمز للحوار" التي عقدت في إسطنبول تركيا ٢٠٠٠م، وقام على إخراج مضمون الندوة حسن بن إدريس عزوزي في مجلة الوعي الإسلامي العدد ٤٢٠ (من صفحة ٣٨ إلى صفحة ٤٠) بعنوان "الإبراهيمية دعوة باطلة"، نقلتها بتلخيص وتصرف يسير.

(٢) المصدر السابق (ص: ٣٩).

(٣) انظر: مقالة الإبراهيمية دعوة باطلة (ص: ٣٨).

فهذه مظاهر خداعة وشعارات براقة ومن باطنها يَنْبُع الحقد الدفين على الإسلام وأهله، فهي محاولة لهدم هيمنة الإسلام وطمس معالمه، بل هي حركة لذوبان الإسلام واضمحلاله والتخلص منه بشكل كلي(١).

وهذه الدعوة من أشهر من نادى بها وفَعَّل لها المؤتمرات والندوات مُدَّعي الإسلام "روجيه جارودي"(٢)، وهذا الرجل أعلن إسلامه وتغلل بين أوساط المسلمين ولكنه لم يَتَخَلَّ عن النصرانية، وأخذ يرمي بآراءٍ له جديدة، كقوله: الصلوات ثلاث، ودعوته لعقيدة دينية جديدة تخلط بين الإسلام والنصرانية والشيوعية، إلى غير ذلك...(٣).

فمن ضمن التقريرات التي دعا بها جارودي للميراث الإبراهيمي، قوله: «ليس الإسلام دينًا جديدًا وُلِد مع نبوة محمد ﷺ، ليس الله إلهًا خاصًّا وَقْفًا على المسلمين، "الله" هو الترجمة الحرفية لكلمة تدل على الإله الواحد الأحد، والمسيحي العربي يقول في صلاته وشعائره: الله؛ ليتضرع إلى ربه، ويعني الإسلام التوكل الإرادي والحر على الإله الواحد الأحد، وذلك هو القاسم المشترك بين الأديان الثلاثة»(٤).

وقال أيضا: «التشريعات تتباين في التوراة والإنجيل والقرآن؛ بينما يشدد الله على تواصل رسالته، ينصح بالرجوع إلى أولئك الذين تلقوا الرسالة قبل القرآن، وبالتالي يوصي بالعودة إلى التوراة والأناجيل»(٥)، فصرح بأن الرجوع يكون للقديم وغرضه عدم الرجوع للقرآن، بل يَرْمي

---

(١) انظر: الإبطال لنظرية الخلط بين دين الإسلام وغيره من الأديان، لبكر أبو زيد (ص: ٣٢).

(٢) روجيه جان شارل جارودي ولد ١٩١٣م في فرنسا، اعتنق النصرانية وانضم للحزب الشيوعي، عمل على إحياء التراث الروحي في خليط بين أديان الهند والإسلام واليهودية وما هو عليه من نصرانية، ادعى الإسلام عام ١٩٨٢م، فَعَّل المؤتمرات والندوات لإحياء الميراث الإبراهيمي، انظر: دعوة التقريب بين الأديان (ص: ٨٣٩).

(٣) انظر: الإبطال، لبكر أبو زيد (ص: ٣٢).

(٤) الإسلام، لجارودي، نقلًا عن تقارب الأديان (ص:٨٦٣).

(٥) رجاء جارودي والدعوة إلى وحدة الأديان (ص:٤).

إلى أبعد من ذلك فيقرر أن القرآن لا يصـــلح للأزمنة المتأخرة، فقال: «إن اعتبار القرآن كتابًا يتضمن تشريعًا صالحًا لجميع الشعوب وجميع الأزمنة، هو بالتأكيد تأويل ضيق ومميت لمستقبل الإسلام»(١).

وزعم أن محمدًا ﷺ لم يأت بعقيدة جديدة بل هو مُحْيي عقيدة الديانات الســماوية قبله، فهو وريث للتقاليد اليهودية والنصرانية، وإتيان الأمر باتباع ملة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ دال على تلاشي الفوارق بين الأديان الثلاثة؛ لأنه عَلَيْهِ السَّلَامُ قدوتها وإمامها، قال: «لم يدَّع النبي محمد ﷺ أبدًا أنه جاء بعقيدة جديدة، وإنما يواصـــل ويجدد تلك العقيدة الأصـــلية التي كان يجد لها في عقيدة إبراهيم التعبير الأمثل»(٢)، فادعى أن محمدًا ﷺ لم يأت بدين جديد بل جاء بتذكير وترشـــيد بدين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ من خلال اليهودية والنصرانية(٣).

فمُرَوِّج الفكرة شـــخص أفكاره ملوثة بالاعتقادات الباطلة من ماركســـية ونصـــرانية، يقول "روجيه جارودي" عن نفســه: «دخلت الإســلام وبإحدى يدي الإنجيل، وباليد الأخرى كتاب رأس المال لماركس، ولســـت مســـتعدًّا للتخلي عن أي منهما»(٤)، فجاء بما يحويه عقله من الضـــلال فادعى الإســلام ليصُـــبَّ فيه انحرافاته، يقول: «أنا جئت للإســلام بعد مســيرة طويلة تنقلت فيها بين الفلسـفة المحضـة والمسـيحية والماركسـية، وانتهيت إلى الإسـلام دون التخلي عن اعتقاداتي الخاصة وقناعاتي الفكرية؛ لأن انتقالي إلى الإسلام لا يعد انقطاعًا من ماضٍ»(٥).

---

(١) وعود الإسلام، لجارودي (ص:٨٠).

(٢) المصدر السابق (ص: ٢٥).

(٣) انظر في كتابيه: وعود الإسلام (ص: ٣٠)، وفلسطين أرض الرسالات السماوية (ص: ١٢٤).

(٤) رجاء جارودي والدعوة إلى وحدة الأديان (ص: ٣).

(٥) المصدر السابق نفسه.

فزين للناس دخوله في الإسلام للإسلام ولكن هو بنفسه صرح بأنه ما جاء للإسلام بل جاء لدين جديد مخترع من تلقاء نفسه لقبه بـــ"الدين الإبراهيمي"، حيث يقول بعدما زعم إعلان إسلامه: «والدِّين الذي أنا عليه اليوم هو توفيق بين الإسلام وما سبقه من ديانات... فأنا عندما أنشأت متحف قرطبة للحضارة الإسلامية... قمت في هذه المناسبة بعقد مؤتمر ديني إبراهيمي، أسندت رئاسته بالتساوي إلى ثلاث شخصيات إسلامية ومسيحية ويهودية»[١]، هذا مع غَضِّ النظر عن انحرافات دين اليهود والنصارى التي حلت بالديانتين بعد أنبيائهم، فدعواه ترجع للمزج مع ما في هاتين الديانتين من وثنية وانحلال، وهذا يوضح مضمون الإبراهيمية التي يذيعونها أنها ليست عودة بالأديان لعقيدة الخليل عليه السلام من التوحيد وإخلاص العبادة لله، بل هي دين جديد تلفيقي.

فظاهر الدعوة الإصلاح وإقامة مجتمع سلمي متعايش طرحًا للخلافات والمنازعات، ولكن باطنها فيه الخبث والمكر والخداع كما هو حال أولئك أعداء الإسلام الذي يئسوا من حربه الحروب العسكرية فلجؤوا للحروب الفكرية تدميرًا للإسلام من خلال عقيدته ومنهجه ودعوته.

ويظهر خبث هذه الدعوة من وجوه:

- توجيهها للمسلمين والإسلام دون بقية أركان الدعوة من اليهودية والنصرانية وأهلهما.
- جعل القرآن وريثًا للتقاليد اليهودية والنصرانية، وهذا من أهداف الاستشراقيين وهو سلاح يحاربون به؛ لتشويه القرآن وزعزعة أتباعه عن الوثوق به.
- أن القرآن غير صالح لكل زمان ومكان.
- التلفيق بين الإسلام والعقائد والتشريعات الأخرى، ولم يسعوا لتلفيق شيء من ديانة اليهودية ولا النصرانية في غيرهما، ولكن هو انصهار لديانة المسلمين وعقيدتهم في ديانة أهل الكتاب وحسب.

---

(١) المصدر السابق نفسه.

- المؤتمرات والندوات المقامة تحت الشعار الإبراهيمي لم تكن إلا في بلاد المسلمين وأهدافها موجهة لعقول المسلمين دون غيرهم.

فهذه صــــورة الدعوة لوحدة الأديان وحقيقة القائمين عليها. وبيان بطلانها وبراءة الخليل عليه السلام منها فيما يلي:

ثانياً: تقرير فساد دعوى الإبراهيمية التي يُقَرَّر بها وحدة الأديان:

إن أهل الكفر في محاولة دائبة للقضاء على الإسلام وأهله، وزعزعة كيان الأمة الإسلامية وإرجاعهم للكفر والضلال المبين، وتمكين اليهودية والنصرانية من فرض السيطرة، قال تعالى: ﴿ وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ﴾ [سورة البقرة:١٠٩].

فمحاولاتهم مستمرة تَظهر كل حين بصور متعددة، وأساليب مختلفة، ومن ضمنها دعوتهم إلى ما يسمونه الدعوة الإبراهيمية، ولكن هذه الدعوة باطلة في نفسها، فبمجرد تسلط ضوء الحق عليها يصيبها الذوبان.

وبيان بطلان هذه الدعوة من وجوه:

الوجه الأول: دعوة الإبراهيمية قائمة على أساسين: الإيمان بالله والرجوع للوسيلة المشتركة[(١)]، فقد اعتمدوا على هذين الأساسين كركيزة لقيام دعوتهم الإبراهيمية.

أما الأســاس الأول: وهو الإيمان بالله، ففي وقوعه منهم تخلله الباطل، وما يقدح في كونه إيمانًا صحيحًا، فمن متطلبات الإيمان بالله الإيمان برسله وكتبه وشرعه الذي شرعه ورضيه دينًا لعباده وختم به تشريعه، فإن كانت هذه الدعوة تدعو للإيمان بموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام بأنهم أنبياء لله، إلا أن الإيمان بالأنبياء على طريقتهم لا يُعد إيمانًا يُعتد به؛ فحقيقة الإيمان

---

(١) وهو إبراهيم عليه السلام.

بالأنبياء قائمة على الإيمان بهم جميعًا والإيمان بأن محمدًا خاتمهم، بل إن الأنبياء لو كانوا في عصر محمد ﷺ ما وسعهم إلا الإيمان به ومتابعته ﷺ، قال الله تعالى: ﴿وَإِذۡ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيۡتُكُم مِّن كِتَٰبٖ وَحِكۡمَةٖ ثُمَّ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مُّصَدِّقٞ لِّمَا مَعَكُمۡ لَتُؤۡمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥۚ قَالَ ءَأَقۡرَرۡتُمۡ وَأَخَذۡتُمۡ عَلَىٰ ذَٰلِكُمۡ إِصۡرِيۖ قَالُوٓاْ أَقۡرَرۡنَاۚ قَالَ فَٱشۡهَدُواْ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨١﴾ [سورة آل عمران:٨١]، وقال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده لو أن موسى كان حَيًّا اليوم ما وسِعَه إلَّا أن يَتَّبِعَنِي»(١)، وقال علي رضي الله عنه(٢): «لم يبعث الله عز وجل نبيًّا، آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهد في محمد، لئن بعث وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه، ويأمره فيأخذ العهد على قومه»(٣)، فلو «كان الأنبياء المتقدمون قبله أحياء لوجب عليهم متابعته ومطاوعته»(٤)، وأن عيسى عليه السلام سينزل آخر الزمان ولن يحكم إلا بشرعة محمد ﷺ(٥).

فموسى وعيسى عليهما السلام نبيان صاحبا الديانتين ما يسعهما إلا اتباع النبي ﷺ، فما الحاجة لدعوة الرجوع لمصدر الديانات، ونبيا الديانتين نفساهما ما يسعهما إلا اتباعه ﷺ، والخليل عليه السلام أرشد إلى النبي الخاتم في قوله: ﴿رَبَّنَا وَٱبۡعَثۡ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده (٦/٣٠٩١) برقم: (١٤٨٥٦)، والدارمي في "مسنده" (١/ ٤٠٣) برقم: (٤٤٩)، والبيهقي في السنن الكبرى (٢/١٠) برقم: (٢٢٧٥). *وصحح إسناده ابن كثير في "البداية والنهاية" (١/ ٤٥٨)، وحسنه الألباني بشواهده في المشكاة، (١/٦٣)، والإرواء (٦/٣٤).

(٢) علي بن أبي طالب بن عبد مناف، ابن عم النبي ﷺ وُلد قبل البعثة بعشر سنين، وكان من السابقين الأولين، شهد المشاهد إلا غزوة تبوك، رابع الخلفاء الراشدين، مدة خلافته خمس سنين إلا ثلاثة أشهر ونصف شهر، قُتل سنة ٤٠هـ. انظر: معجم الصحابة، للبغوي (٤/ ٣٦٧) سير أعلام النبلاء، للذهبي (١/ ٢٢٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر (٤/ ٤٦٤).

(٣) أخرجه الطبري في تفسيره (٦/ ٥٥٥)، وبنحوه عن ابن عباس، وقتادة.

(٤) مجموع الفتاوى، لابن تيمية (١١/ ٤٢٣).

(٥) قال النبي ﷺ: «والذي نفسي بيده، ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم عليه السلام حكمًا مقسطًا»، أخرجه البخاري في صحيحه (٢١٠٩)، ومسلم في صحيحه (١٥٥).

ﭐلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَيُزَكِّيهِمۡۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾﴾ [سورة البقرة:١٢٩]، فإن كان إيمانهم بالأنبياء إيمانًا مستقيمًا لما لجؤوا إلى هذه الدعوة، وبه ينتقد عليهم الأساس الأول.

وقد أبطل الله ﷻ دعوى الدمج بين الأديان لمجرد الاعتراف به ربًّا، وهذا يستفاد من قوله تعالى: ﴿وَدُّواْ لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ ﴿٩﴾﴾ [سورة القلم:٩]، أي لو تُرخِّص لهم فيرخصون، أو تلين في دينك فيلينون في دينهم(١)، فود الكفار لو يحصل ترخيص لهم وللمسلمين في الدمج والتعاون بينهم للخروج من الخلاف فتعبد آلهتنا ونعبد إلهك ونتغاضى عن المخالفات والشركيات الواقعة(٢)، فأنكر الرب ﷻ على مشركي قريش في أن يحدثوا تقاربًا مع النبي ﷺ لمجرد اعترافهم بالله وكونه ربًّا لهم، فرد عليهم سبحانه وأنكر عليهم ذلك التقريب.

وهكذا أصحاب دعوة الإبراهيمية أرادوا أن نركن إلى ما يهوونه؛ لأن إلهنا واحد، وندهن عن مخالفاتهم وكفرياتهم.

وأما الأساس الثاني: وهو الرجوع للوسيلة المشتركة؛ لظنهم الجمع بين أصحاب هذه الديانات على شيء مشترك بينهم، فإن حقيقة الاجتماع على إبراهيم عليه السلام تكون بالرجوع إلى عقيدته ومنهجه وطريقته في الإصلاح، هذا هو حقيقة الانتساب، ولذلك لما جاء الأمر من الله سبحانه باتباع الخليل عليه السلام جاء وفق الرجوع لملته وعقيدته، وأما مجرد الدعوة للرجوع إليه دون البحث والتنقيب عن منهجه وعقيدته والالتزام بذلك فهذا كافٍ في بطلان هذه الدعوة.

وبهذا يُعلم أن الوسيلة المرجو الرجوع إليها في بناء هذه الدعوة لا تقوم بهم ولا تسعفهم ليبنوا عليها ويشيدوا دعوة صحيحة يمكن رجوع أصحاب الديانات إليها.

---

(١) جاء ذلك عن ابن عباس ومجاهد وقتادة، واختاره ابن جرير في تفسيره (٢٣/ ٥٣٣، ٥٣٢)، وانظر: الدر المنثور، للسيوطي (٨/ ٢٤٤).

(٢) انظر: التحرير والتنوير، لابن عاشور (٢٩/ ٦٨).

ثم يُنْظر إلى المنتسبين إليه من المسلمين واليهود والنصارى من منهم يدعو للإبراهيمية الحقة التي جاء بها عليه السلام، فملة اليهود والنصارى المحرفة مرقت من منهجه مروق السهم من الرمية، ولم يبق ممن يدعو لمنهجه وعقيدته إلا المسلمون، فكان جديرًا بمن يريد الإصلاح بطريق الرجوع للإبراهيمية أن يدعو هؤلاء المارقين عن ملته للرجوع لها؛ فهذا هو الطريق الأمثل لتلاشي الخلافات والنزاعات.

الوجه الثاني: أن دعوة الإبراهيمية هي دعوة موجهة للإسلام فقط دون غيره من أركان هذه الدعوة (اليهودية والنصرانية)، فإن الداعي لهذه الدعوة ما وجَّه دعوته إلا للمسلمين فحسب، وقرر أن يكون التنازل منهم دون غيرهم دون أن يوجه أي خطاب لليهود أو النصارى(١).

ويظهر هذا في تسلطهم على القرآن وتقرير أنه غير صالح لكل زمان ومكان، وفي المقابل لا كلام ولا مجرد إشارة عن صلاحية التوراة والأناجيل، فالهجمة هجمة على الإسلام لا دعوة لمجتمع سلمي متعايش؛ لأنه لو كان حقًّا دعوتهم للانتقاء وللخروج بدين تلفيقي يناسب العصر لتوجهوا إلى التوراة والإنجيل كما توجهوا إلى القرآن، أليس التوراة والإنجيل من الأركان التي تشملها هذه الدعوة أم هي دعوة وهجمة على القرآن فحسب!

الوجه الثالث: أن دعوة المزج بين العقائد والتشريعات للوصول إلى منهج عصري تلفيقي، هل يرضى اليهودي بذلك؟ وهل يرضى النصراني بذلك؟ لن يرضى كل منهما بالتخلي عن دينه وعقيدته وشريعته، فضلًا على الرضا بالتلفيق، وقد قال تعالى: ﴿وَلَن تَرْضَىٰ عَنكَ ٱلْيَهُودُ وَلَا ٱلنَّصَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ﴾ [سورة البقرة:١٢٠].

فهذا حال أصحاب الديانتين المحرفتين المبدلتين، فما حال صاحب الدين الحق الذي هو على يقين من ربه بأنه دين رب العالمين الذي ارتضاه لخلقه وختم به رسالته، فدعوى يمتنع وقوعها، والامتناع يبطل به الدعوى إليها، قال تعالى: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ بِكُلِّ ءَايَةٍ

(١) انظر: رجاء جارودي والدعوة لوحدة الأديان (ص: ٣).

﴿مَّا تَبِعُواْ قِبۡلَتَكَۚ وَمَآ أَنتَ بِتَابِعٖ قِبۡلَتَهُمۡۚ وَمَا بَعۡضُهُم بِتَابِعٖ قِبۡلَةَ بَعۡضٖۚ﴾ [سورة البقرة:١٤٥]، ولو فُرض جدلًا «أن هذه الفكرة إن حظيت بقبول من يهود ونصارى، فهم جديرون بذلك؛ لأنهم لا يستندون إلى شرع منزل مؤبد، بل دينهم إما باطل محرف، وإما حق منسوخ بالإسلام، وأما المسلمون فلا والله، لا يجوز لهم بحال الانتماء إلى هذه الفكرة؛ لانتمائهم إلى شرع منزل مؤبد كله حق»(١).

الوجه الرابع: لو فُرِض جدلًا الوصول إلى دعوة التلفيق، من الذي يلفق ويختار وينقح؟! من الذي يستطيع أن يختار من الديانات الثلاث ما يصلح به حالهم ومعاشهم؟ فإن العقول متفاوتة غير متقاربة فضلًا على أن تكون متناسقة في تعبيراتها وآرائها واختياراتها، هذا في حد ذاته نزاع لن ينتهي، فهم أرادوا الخروج بالمجتمع من الخلاف والنزاع فوقعوا فيما هو أشر منه وأطم، ولذلك لا يصلح للناس إلا تشريع محكم من لدن حكيم عليم، تشريع لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه.

الوجه الخامس: هذا الدين التلفيقي الذي يسعون لإخراجه -وإن كان ملفقًا من تشريعات وعقائد سماوية- لا يخرج عن كونه وضعيًا لا سماويًا؛ لأنه قائم على الانتقاء، فينتقون ما يتماشى مع أهوائهم وأفكارهم ويطرحون ما لا يرغبون فيه، بل هو أضل وأشد طغيانًا من مجرد وضع قوانين من قبل البشر؛ لأن فيه تحكمًا وتسلطًا على أحكام الله والاختيار منها، فجعلوا أنفسهم معدلين على شرائع الله آخذين منها ما يوافق العصر، ويلزمهم الطعن في الرب وحكمته وكماله، فإذا كان تشريع الرب -على زعمهم- لا يصلح لإصلاح المجتمعات فهل انتقاؤهم البشري يصلح لذلك؟!

---

(١) الإبطال لنظرية الخلط بين الأديان (ص: ٣٦).

الوجه السادس: أن الدعوة إلى دمج الأديان هي ردة عن ملة إبراهيم عليه السلام، ﴿وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفْسَهُۥ﴾ [سورة البقرة: ١٣٠]، فحقيقة هذه الإبراهيمية هي رغبة عن ملة إبراهيم، ومن رغب عنها فقد سفه نفسه، فكيف يدعون للرجوع إليه وهم راغبون عن ملته.

الوجه السابع: أن قيام مجتمع على أُسس ملفقة من الأديان الثلاثة فيه طعن في المُرسِل لخاتم الشرائع، وطعن فيما أَرْسَلَه وخَتَمَ به الشرائع؛ فإن الرب الذي أرسل إبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، هو الرب الذي أرسل محمدًا ﷺ، -وهذا يعترف به من يدعو للإبراهيمية على حد قولهم- وهو الرب الذي جعل محمدًا ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وجعل شرعته ختام الشرائع المرسلة لخلقه، فاللجوء للتوفيق من هذه الأديان لانتقاء ما يوافق ويلائم العصر فيه قدح في الرب، واعتراض عليه في جعله هذه الشرعة ختام الشرائع، واتهامه بعدم الحكمة والعلم بمصالح العباد، ويكون ختم رسالاته بشريعة الإسلام من باب العبث الذي نتج عنه عدم موافقة هذه الشريعة للعصور المتأخرة عن زمن نزولها.

وقولهم يلزم منه لوازم لا فرار لهم منها، إما أن يكون الرب جل جلاله جَهِل ذلك ولا علم له به، **وإما** علمه ولكن لم يبينه لخلقه وكتمه عنهم فغشهم، **وإما** أن يكون علم وبينه ولكن في تبيينه نوع عيٍّ وعدم قدرة على البيان، فليختاروا لربهم من هذه الضلالات إحداها!

وهذا حال من يدعو للإبراهيمية اعتراضًا وتسفيهًا ورميًا للرب بالجهالة، تعالى الله عن قولهم علوًّا كبيرًا.

وفيه طعن في القرآن؛ فبزعمهم أنه لا يصلح لكل زمان ومكان، في ذلك اتهام له بالنقص والقصور وفض ختاميته التشريعية[1]، وهو تكذيب لقوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [سورة المائدة:٣].

---

(١) انظر: الإبراهيمية دعوة باطلة (ص:٣٨).




فديننا خاتم الأديان ونبينا خاتم الأنبياء وشرعنا ناسخ للشرائع، فلا حاجة للدمج والتلفيق بين الدين الخاتم وما قبله من الأديان الدائرة بين نســـخ وتحريف، فإن الرب الذي أنزل هذه الديانات هو الذي جعل شريعة محمد خاتمة ناسخة لها، فهو سبحانه أعلم بما يصلح للعباد وما يلائم معايشـــهم، ﴿وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٨٥)﴾ [سورة آل عمران:٨٥].

الوجه الثامن: أن الدين الإسلامي حث على اتباع ملة إبراهيم عليه السلام والاقتداء به، وجاء الأمر في كثير من المواضع باتباع ملته، قال تعالى: ﴿فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [سورة آل عمران:٩٥]، وقال: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة النساء:١٢٥]، وقد دعا أهل الكتاب للرجوع لملة الخليل عليه السلام، فأبوا ورفضوا واتهموا الخليل بكونه يهوديًّا أو نصرانيًّا، فرد الله عليهم زعمهم وبين بطلانه.

فدعوة الرجوع لملة الخليل عليه السلام هي دعوة قرآنية جاء الحث عليها، وبين سبحانه أن الرجوع يكون لعقيدته ومنهجه لا للباطل الذي يدعو إليه أصحاب الإبراهيمية التلفيقية، وأكد حقيقة ملته بقوله: ﴿حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٦٧)﴾ [سورة آل عمران:٦٧].

الوجه التاسع: أن الهدف من هذه الدعوة -بحد زعمهم-الإصلاح للمجتمعات وطرح الخلافات ونبذ العصبيات، وهذا الذي يسعون إليه قد دل عليه الخليل عليه السلام وأرشد إليه، يُعلم ذلك من قوله: ﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ (١٢٩)﴾ [سورة البقرة:١٢٩].

ففي تعليم الكتاب والحكمة والتزكية الكفاية في إصلاح النفس والمجتمع، وقيام أمة زكية تأخذ بالحق وبه تعدل، فلم يكتف بأن يكون المرْسَل يعلمهم الكتاب والحكمة، فإن «تعليم الكتاب والحكمة لا يكفي في إصلاح الأمم وإسعادها، بل لا بد أن يقرن التعليم بالتربية على الفضائل، والحمل على الأعمال الصالحة بحسن الأسوة والسياسة، فقال: (ويزكيهم) أي: يطهر نفوسهم

من الأخلاق الذميمة، وينزع منها تلك العادات الرديئة، ويعودها الأعمال الحسنة التي تطبع في النفوس ملكات الخير، ويبغض إليها القبيحة التي تغريها بالشر»[(١)].

فهذا الإصلاح الذي يدعو إليه الخليل عليه السلام هو الإصلاح الذي به ترتقي الأمم، فإن كانت دعوة أصحاب الإبراهيمية صادقة فليأخذوا بإصلاح من يدعو إلى الرجوع إليه.

الوجه العاشر: أن الدين التلفيقي الذي يبحثون عنه للقضاء على الخلافات والنزاعات بين أهل الأديان، فإن في كتاب الله أساليب كثيرة للقضاء على هذا الاختلاف الحاصل بين أهل الديانات الثلاثة، منها قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُولُوا۟ ٱشْهَدُوا۟ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [سورة آل عمران:٦٤]، وقوله تعالى: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ﴾ [سورة الشورى:١٣].

فالقرآن فيه علاج لهذا الداء الذي يسعى أصحاب الدعوة الإبراهيمية إلى علاجه، وبُيِّن فيه أوجه العلاج وسبل استئصال الداء منذ قيام دعوة النبي ﷺ ومحاورته لأهل الديانتين.

وحوار القرآن لأهل الكتاب أصحاب الديانتين كان قائمًا على أساس واحد لا غير هو في قوله تعالى: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟ ۖ وَّإِن تَوَلَّوْا۟ فَإِنَّمَا هُمْ فِى شِقَاقٍ ۖ﴾ [سورة البقرة:١٣٧]، فهذا ركيزة الدعوة القائمة مع أهل الكتاب.

(١) تفسير المنار، لرشيد رضا (١/٤٧٣).

وبهذه الأوجه يتبين مدى انحراف أصحاب هذه الدعوة عن الطريق السوي الذي به صلاح الأمم والرُّقِيُّ المرتقب من الأخلاق والفضائل لدى الشعوب، ويمكن الرد على هذه الدعوة بكل رد وجهه أهل العلم لإبطال دعوة تقارب الأديان ووحدتها[1].

---

(١) انظر على سبيل المثال: مجموع الفتاوى (٤/٢٠٣-٢٠٧)، الإبطال لنظرية الخلط بين الإسلام وغيره من الأديان (ص: ٣٨-٤٣)، ودعوة التقريب بين الأديان الجزء الثالث.